فترة الضياع

أو

فترة الحكم المصري ـــ التركي

فترة الحكم المصري ــ التركي

فترة الفوضى والفتن والمحن !

بعد استسلام الإمام عبد الله بن سعود ، نقل ابراهيم باشا مقره من سمحان إلى « العويسية » [1]،وفرّق حرسه وكتائبه الخاصة في أطراف الدرعية ونخيلها بينما توزع قواده – ومع كل واحد منهم جماعة من العسكر – في بلدان نجد ونواحيها، يحكمونها بأهوائهم ، وبذلك زالت الدولة السعودية الأولى ، التي قامت على الشرع والنظام ، واستفاض في ظلها الأمن والعدل والرخاء ، وتوحدت البلاد وعزّ الإسلام وعظم شأن العرب ، وحل مكانها .. حكم أجنبي ، حاقد ماكر ، متعطش إلى مزيد من الدماء يسفكها ، ومزيد من الأموال ينهبها ، ومزيد من البلدان والقرى العامرة يخربها ، ومزيد من الكرامات يهينها ، ومزيد من القيم والمثل العليا يهدرها ..

وجملة القول : عادت بلاد نجد ، بين عشية وضحاها ، من الناحية السياسية ، إلى حال تشبه حالها قبل حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب وحكم آل سعود .

ولكن الله سبحانه وتعالى كان رحيماً بأهل نجد ، فلم تطل « مأساتهم » كثيراً، ونهض من بين آل سعود رجل عبقري حازم،هو الإمام تركي بن عبد الله،

---

(١) هي نخيل تركي ، أسفل الدرعية – أنظر ابن بشر .

فحارب الغزاة وطردهم وحرر البلاد منهم وأسس في نجد دولة إسلامية عربية حرة ، سمّاها المؤرخون : الدولة السعودية الثانية ، وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب خاص .

لقد استمر الاحتلال المصري ، أو على الأصح الإحتلال التركي – المصري ، لنجد من آخر سنة ١٢٣٤ إلى سنة ١٢٣٨ أي أربع سنوات ، عانت خلالها البلاد النجدية الأهوال ثم نجاها الله . وقد يمدد بعضهم هذه الفترة إلى سنة ١٢٤٠ لأن العساكر المصرية كانت لا تزال موجودة في الرياض .

وأما الحجاز فقد بقيت تحت السيطرة التركية (العثمانية) حتى عام ١٩١٦ م. ورزحت عسير كذلك تحت الحكم العثماني مدة طويلة .

لقد لخصنا وقائع هـذه الفترة في مقدمتنا ، ولكننا حرصنا هنا على إثبات رواية ابن بشر لهذه الوقائع ، فهو المؤرخ النجدي الوحيد الذي ذكرها في شيء من التفصيل ، ونحن ننقل ما كتبه بشيء يسير من التصرف .. مغفلين بعض الأشياء التي ذكرها استطراداً ولا صلة لهـا بالموضوع أو بعض حوادث الوفيات ونحو ذلك .

وهذه رواية ابن بشر :

سلوك ابراهيم باشا في الدرعية :

اتخذ ابراهيم باشا الدرعية ، بعـد استسلامها ، مقراً له ، (وانتقل بنفسه وحاشيته وقبوسه وقنابره ومدافعه من « سمحان » ونزل في نخل تركي بن سعود المعروف « بالعويسية » أسفل الدرعية ،وباقي عساكره فرّقها في نخيلها وأطرافها ودروبها ..)

.. ثم إن الباشا أخذ خيل السعود وشوكة الحرب وما وجد عليه اسمهم في بندق أو سيف .

وأكثر العساكر العبث في أسواق الدرعية والضرب والتسخير لأهلها، فكانوا يجمعون الرجال من الأسواق ويخرجونهم من الدور ويحملون على ظهورهم ما تحمله الحيوانات فيسخرونهم يهدمون البيوت والدكاكين ويحملون خشبها ويكسرون

ويردون لهم الماء ويحملونه ، فلا يعرفون لفاضل فضله ولا لعالم قدره وصار الساقط الخسيس في تلك الأيام هو الرئيس ..

ثم ان الباشا أقام في الدرعية وطال مقامه فيها نحو تسعة أشهر بعد المصالحة.

إبعاد آل سعود وآل الشيخ :

وأمر على جميع آل سعود وأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائهم أن يرحلوا عن الدرعية الى مصر ، فارتحلوا منها بحريمهم وذراريهم وسار معهم كثير الى مصر ولم يبق منهم إلا من اختفى او هرب ، وكان تركي بن عبد الله هرب من الدرعية وقت الصلح هو وأخوه زيد ، وهرب الشيخ القاضي علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى قطر والى عمان وأقام هناك حتى استقامت الامور لتركي بن عبد الله ، وهرب أناس غيرهم ونجاهم الله سبحانه .

تدمير الدرعية بعد نهب أموالها :

فلما كان من شعبان وقدمت الرسل والمكاتبات من محمد علي صاحب مصر على ابراهيم باشا وهو في الدرعية ، أمر بهدم الدرعية وتدميرها ، وأمر على أهلها أن يرحلوا عنها ، ثم أمر على المساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ، ولا يرحموا صغيرها ولا كبيرها ، فابتدر العساكر مسرعين ، وهدموها وبعض اهلها فيها (مقيمين)، فقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور ، ونفذ فيها القدر المقدور، وأشعلوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان ، فتركوها خالية المساكن ، كأن لم يكن بها من قديم ساكن ، وتفرّق أهلها في النواحي والبلدان ، وذلك بتقدير الذي كل يوم هو في شان .

ابراهيم باشا يرحل من الدرعية بعد تدميرها :

.. ثم إن الباشا لما فرغ من هدم الدرعية وتدميرها، رحل منها ونزل الموضع المعروف بـ (الأحور) ، وهو غدير قرب بلد ضرماء ،كان سعود رحمه الله يجعل فيه خيله أيام الربيع فأقام الباشا فيه أكثر من شهر .

ابراهيم باشا يغزو العجمان و يُطعن بخنجر :

ثم ركب منه غازياً وقصد ناحية الجنوب وترك مخيمه فلم يحصل على طائل ، ووافق غزواً من بوادي العجمان ، نحو مائتين فهربوا وقتل بعضهم ، وضربه رجل من الغزو ضربة عظيمة بخنجر فسلم منها .. ثم قفل الباشا راجعاً إلى مخيمه .

ابراهيم باشا يغزو عنزة :

ثم ركب وأغار على قبيلة من عنزة فأخذ منها إبلاً وأغناماً وذلك في أرض الزلفي .

ابراهيم باشا يرحل من نجد الى المدينة :

ثم إن الباشا رحل من القصيم وقصد المدينة ، ورحل معه عجيلان بن حمد أمير القصيم ، الذي توفي في المدينة ..

قتل الأمراء والأعيان :

ثم ان قواميس الباشا وعساكره الذين فرّقهم في البلدان .. لهدم السور منها والقصور ، وثبوا على أناس من رؤساء نواحي اهل نجد فقتلوهم ، وذلك لما أراد الباشا أن يرحل من نجد ، فوثب الآغا الذي في الجبل ومن معه من العسكر وقتلوا محمد بن عبد المحسن بن علي أمير الجبل ، وأخاه علي ، وقتل معهما رجال . ووثب الآغا الذي في القصيم فقتل عبد الله بن رشيد ، أمير عنيزة .

ثم وقت ارتحال الباشا من القصيم أقبل الآغا الذي في حوطة الجنوب ، المسمى (حسين جوخدار) ، ومن معه من عساكر ، ونزل (الدلم) البلد المعروفة في الخرج ، وقتل آل عفيصان وهم : فهد بن سليمان بن عفيصان وأخوه عبد الله ، ومتعب بن ابراهيم بن سليمان بن عفيصان واستأصل جميع خزائنهم وأموالهم .

وقتل أيضاً علي بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قتله الترك قرب الدرعية ، وكان له معرفة في الحديث والتفسير وغير ذلك .

حكم محمد بن مشاري بن معمر

... في آخر هـذه السنة — ١٢٣٤ — رحل محمد بن مشاري بن معمر من بلد (العينية) ونزل الدرعية .. لأنه طمع في ملك نجد بعد نفي آل سعود إلى مصر وضياع أموالهم وتفرق رجالهم ،وكان مشاري غنياً بالمال ، وعنده سلاح لا يحصى ولا يعـد ، وهو فوق ذلك يمت إلى آل سعود بصلة نسب ، فأمه أخت الامام سعود بن عبد العزيز .

نزل محمد هذا الدرعية (وسعى في عمارتها ، وأظهر إعلان الدعوة ، وأراد أن تكون بلدان نجد تحت يده بدعوى الإمامة ، فكاتب أهل البلدان ودعاهم للوفود اليه والاجتماع به فأطاعه أهل بلدان قليلة ممـا يليه في الدرعية ، ووفدوا عليه فاستقر فيها واستوطنها .

وفي سنة (١٢٣٥) ، وكان ابن معمر قـد استقر في الدرعية وتابعه أهل (منفوحة) وكاتبه أناس من البلدان ، خـافه بعض رؤساء البلدان على زعاماتهم (فأرسلوا الى ماجد عريعر رئيس الأحساء وبني خالد فأشاروا عليه أن يسير الى ابن معمر في الدرعية ويخرجه منها قبل أن يستحكم أمره ، فسار صاحب الأحساء بمن معه من البوادي ، وسار معه أهل بلاد حريملا والخرج وأهل الرياض فنازلوا بلد منفوحة ووقع بينهم وبين أهلها قتال ،وصالحوه وارتحل عنهم .

ثم أرسل اليه ابن معمر وخدعه بشيء من المكاتبات والهدايا ، وأظهر له

الموافقة ، وذكر له أن ما له قصد يخالف أمرهم وأنه (دولة سلطان) . ثم تفاقمت البوادي على آل عريعر وتخاذلوا ، فارتحل على غير طائل !

وهكذا تعاظم أمر ابن معمر بعدها ، وكانت الأسعار في الغاية من الغلاء في الدرعية وغيرها... فكاتب ابن معمر اهل البلدان من اهل المحمل وسدير والوشم وغيرهم في ترحيل القوافل الى الدرعية بالطعام واستوفدهم عليه، فسارت القوافل الى الدرعية من تلك النواحي وباعوا الطعام بأبخس بيع .. ثم انه تمكن امره في البلدان وصار له فيها دعاة .

ثم أتى اليه في الدرعية تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وأخوه زيد وصارا عنده وساعداه .

وكان بينه وبين رئيس بلد (حريملا) حمد بن مبارك بن عبد الرحمن بن راشد وناصر بن حمـــد بن ناصر العائذي صاحب (الرياض) ، وابن زيد بن زامل صاحب (الخرج) عداوة وامتنعوا عن المتابعة .

ثم كاتبه أناس في بلد حريملا ، فأمرهم بالقيام على آل راشد وحربهم ، فقاموا عليهم بزعامة آل حمـد ، وأمدّ ابن معمر الثائرين برجال فاضطر رئيس حريملا وأنصاره الى الاستسلام ووفدوا على ابن معمر في الدرعية .

وبعد هذه الوقعة دانت البلدان لابن معمر من العارض والوشم وسدير ..

مشاري بن سعود

وفي عاشر جمادي الآخرة قدم مشاري بن الإمام سعود — الذي كان مع آل سعود المبعدين إلى مصر ولكنه استطاع الهرب واختبأ في الوشم — إلى الدرعية، ومعه عدة رجال من أهل القصيم والزلفي وثرمدا وغيرهم من عبيد أهل الدرعية، ومعه حملات من الأرز والطعام، ونزل في بيت من بيوت إخوانه، فانزعج ابن معمر وهمّ بالامتناع والمحاربة، ثم عجز عن ذلك وجنح إلى الصلح، وبايع لمشاري ابن سعود، فاستقام الأمر لمشاري هذا ووفد عليه أهل سدير ورئيسهم محمد بن جلاجل، وأهل المحمل وحريملا، وصاحب الرياض وأكثر أهل الوشم وبايعوه، كما بايعه أهل الدرعية !

وقام معـه تركي بن عبد الله وعضده، وقدم عليه في الدرعية عمه عمر بن عبد العزيز وأبناؤه عبد الله ومحمد وعبد الملك وكانوا قد هربوا من الدرعية وقت المصالحة. ثم قدم الدرعية أيضاً مشاري بن ناصر وحسن بن محمد بن مشاري، وكانوا أيضاً قد هربوا منها وقت الترك.

وحين استقر الأمر لمشاري بن سعود أمر على أهل البلدان الذين بايعوه بالغزو فسار من الدرعية بأهل العارض والمحمل وأهل سدير والوشم وغيرهم كثير من بوادي سبيـع، وقصد ناحية الخرج ونازل أهل بلد السلمية، ووقع بينهم حرب وقتال، واستولى عليها وعلى اليمامة وأخرج البجادي منها ثم نازل بلد الدلم وظهر عليه زقم بن زامل صاحبها وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ثم قفل راجعاً إلى وطنه.

عودة مشاري بن معمر

(وكان ابن معمر قد ندم على انسلاخه من هذا الأمر ، وهمّ باسترجاع الأمر لنفسه ، فركب من الدرعية ، ونزل سدوس ، وأظهر أنه مزيض ، وهو يدير الرأي في استرجاع هذا الأمر ،فكاتب آل حمد أهل حريملا وهم يومئذ رؤساؤها فاستدعوه ووعدوه النصرة فتوجه اليهم من سدوس وقدم حريملا واستوطنها ، وأظهر المخالفة لمشاري ، وكاتب أهل النواحي يطلب منهم البيعة والسمع له والطاعة ، وأخرج من كان في قلعة حريملا وضبطها ، وأقام فيها أياماً ، وكاتب فيصل الدويش وأرسل اليه جيشاً من مطير ، فسار من حريملا بعدة رجال من أهلها وغيرهم وسار مع ذلك الجيش وقصدوا الدرعية ، ودخلوها بغتة ، فدخل ابن معمر ومن معه على مشاري بن سعود في قصره وأمسكوه وحبسوه .

ثم ان ابن معمر جعل ولده مشاري في القصر ، ورحل من الدرعية بمن معه من الجموع وسار الى الرياض – وكان تركي بن عبد الله فيها ومعه عمر بن عبدالعزيز وبنوه – فدخل ابن معمر البلد ، وهرب تركي وعشيرته الى الحاير ، فاستقر ابن معمر في الملك ودانت له البلدان .

ابن معمر يكاتب الترك :

وكان قد أقبل عساكر من الترك مع أبوش آغا ونزل في بلد (عنيزة) واستقر فيها وأطاع له القصيم ، فكاتبه ابن معمر وذكر له أنه (دولة سلطان)

وأنه أمسك مشاري بن سعود لهم ، فكتب اليه أبوش بإقراره في الإمارة !

ثم ان ابن معمر كاتب أهل البلدان وأمرهم يفدون اليه ، فركب أهل سدير والمحمل وأناس غيرهم وقصدوه في الدرعية – وكان قد عاد اليها من الرياض –).

تركي يحبس ابن معمر ثم يقتله !

(ثم ان تركي بن عبدالله ومن معه منعشيرته وخدمه سار من الحاير المعروف بحاير سبيع وقصد بلد ضرماء ليقضي له فيها حاجة ، فلما وصلها ، سار منها رجل الى ابن معمر وأخبره بأن تركي في ضرماء وليس معه إلا شرذمة قليلة ، فأمر ابن معمر على ابنه مشاري وسار في أكثر من مائة رجل ، وقصد ضرماء ، وأرسل أمامه رجلاً ، فوافقه تركي وأمسكه فأخبره الخبر ، وأخذ الكتاب الذي معه فعلم المقصود ، فأمر رفقته أن ينهضوا الى قصر من قصور البلد ويتحصنوا فيه ، فدخلوا فيه ، وأخذوا من صاحب القصر سلاحاً ، وامتنعوا .

فلما كان بالليل خرج تركي من القصر ومعه خادمه ، وقصدوا أناساً في بيت من أصحاب ابن معمر ، فأمسك خادماً لهم ، وقال استفتح على أهل هذا البيت وإلا ضربت عنقك !

فاستفتح عليهم الباب ، فلما فتحوا له دخل عليهم تركي وهم على النار ، مكتنفين بها ، فضرب فيهم بالسيف فأطفأوا النار فهربوا وتسوّروا جدار البيت فجرح فيهم جراحات كثيرة وأخذ سلاحهم ، فلما فعل هذا تخاذل أصحاب مشاري بن معمر وأتوا الى تركي وتابعوه .

وهرب مشاري بن معمر على فرسه ، ومعه فارس او فارسان !

وأقام تركي في ضرماء ، وأتى اليه أناس من أهل الجنوب وسبيع وغيرهم ..

فسار من ضرماء وقصد الى ابن معمر في الدرعية ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة (١٢٣٥ هـ .) فدخلها بمن معه وقصد ابن معمر في قصره ، فهمّ بالامتناع فخذله أهل الدرعية وأصحابه ، فأمسكه تركي وحبسه .

وكان ذلك اليوم الذي قدم فيه تركي الدرعية قدم فيه قبله أهل سدير وأهل

المحمل وافدين على ابن معمر ، فأولم لهم وليمـة فلم يأكلوها ، وأكلهـا تركي وأصحابه !

فلما استقر تركي في الدرعية سار الى الرياض ، ونازل مشاري بن معمر وأمسكه واستولى على الرياض ، وحبس الولد وأباه ، فقـال تركي لابن معمر : إن أطلقت مشاري بن سعود من الحبس ، أطلقتك وابنك ، وإلا قتلتكما !

فكتب ابن معمر الى عشيرته الذين في سدوس بإطلاقه ، فامتنعوا أن يطلقوه خوفاً من الترك ، لأنهم قد وعدوهم قبضه وتسليمه اليهم .

ثم انه اقبل عسكر من الترك مع خليل آغا وفيصل الدويش ، فنزلوا سدوس ، وسلموا لهم مشاري ، وأمسكه الترك .

فلما تحقق تركي أن مشاري أمسكه الترك ، ضرب عنق ابن معمر وابنه مشاري ، وذلك في آخر ربيع) .

تركي يثبت للترك في الرياض :

(ثم ان الترك والدويش ساروا من سدوس وقصدوا الرياض ، وثبت لهم تركي وحاربهم فرجعوا .. وأقاموا في بلد ثادق نحو نصف شهر ، ثم رحلوا الى بلد ثرمدا ، ونازلها الترك وأقاموا فيها ، وكان أبوش ومعه عسكر من الترك في عنيزة ، وأرسلوا مشاري بن سعود الى عنيزة وحبسه الترك عندهم فيها ، ومات رحمه الله تعالى .

وأقبل الدويش ومعه عسكر من الترك وطاول بلدان سدير ، كل بلد ينزلها ويأخذ من أهلها شيئاً كثيراً من الدراهم والسلع .

ثم أتى جلوية البلدان ونزلوها ، وأرسلوا الى الترك وأدخلوهم البلدان ، وأخذوا ما فيها من الأموال والأمتاع .

عودة الترك الى نجد واستيلاؤهم على الرياض :

وفي سنة ١٢٣٦ قدم حسين بك ومعه عساكر من الترك فنزلوا القصيم ، ثم رحل منه واجتمع بأبوش وعساكره وقصدوا الوشم ، ونزلوا بلد ثرمداء ،

فلبث فيها حسين وأمر على البلدان أن يغزوا وأتاه من كل بلد عدة رجال ، من سدير والوشم والمحمل وغير ذلك، وسيّرهم الى الرياض ، وسار به ابوش ومعه جملة من عساكر الترك ومعهم أيضاً رؤساء البلدان الذين أجلاهم ابن معمر ، وناصر بن حمد رئيس الرياض وحمد بن مبارك بن عبد الرحمن رئيس حريملا وغيرهم بغزاة بلدان ، فقدم الجميع الرياض ، ورئيسه يومذاك تركي بن عبد الله ابن محمد بن سعود ، فتصدى لحرب الترك وجمع عنده رجال ، وظن أن أهل البلد يحاربون معه ، فلما وصلت تلك الجموع البلد دخلوها بغير قتال ، واحتصر تركي ومن معه في القصر فرماه الترك بالقبوس وحاربوه ، فهرب من القصر في الليل وحده .

فلما أصبح اهل القصر طلبوا الأمان من الترك فأعطوهم الأمان وأخرجوهم ، وكانوا نحو سبعين رجلاً ،فقتلوهم عن آخرهم صبراً وكان معهم عمر بن عبدالعزيز ابن محمد بن سعود وأبناؤه الثلاثة فحبسوهم وسيّروهم الى مصر .

سلوك حسين بك :

ثم رحل حسين من ثرمدا وقصد الرياض ، وأمسك أبناء إبراهيم بن سعيد أهل منفوحة وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وأخذها منهم ، وصادر أهل الرياض وأخذ منهم أموالاً ، وحبس رجالاً من سبيع ، أهل الحائر .

الجلاء عن الدرعية :

وأمر على أهل الدرعية — وهم الذين نزلوها مع ابن معمر واستقروا فيها — أن يرحلوا عنها ، وساقهم إلى بلد ثرمدا بنسائهم وذراريهم ، وفي ثرمدا يومئذ خليل آغا ومعهم عسكر من الترك فأنزلهم في موضع جميعاً بأموالهم وذراريهم، وبنى عليهم بنياناً وجعل لهم باباً ، لا يدخلون ولا يخرجون إلا معه ، ووعدهم أنه ينزلهم في أي موضع شاؤوا من النواحي ، وأظهر لهم الحشمة والوقار، وهو بخلافه ، وذلك في شهر جمادي الآخرة .

وفي رجب ، قدم عبد الله الجمعي ، أمير عنيزة الأسبق ، من مصر .. وكان

أهل نجد قد أخرجوه من بلدتهم بعد رحيل الترك ، وتأمر عليهم محمد بن حسن ابن حمد ، فقتل حسين هذا الأمير وأحل الجمعي محله .

وقتل حسين عدداً من أهل الرياض يظن فيهم المداراة لأمير الرياض ناصر بن حمد، منهم أولاد سليمان بن راشد الخمسة، قتلهم صبراً، وقطع نخيل أبا الكباش المعروفة.

مجزرة رهيبة !

وذهب حسين إلى ثرمدا ، وهناك أمر المنادي ينادي أهل الدرعية : من أراد بلداً ينزلها فليأتنا نكتب له كتاباً يرحل اليها !

ثم قال لهم اجتمعوا حتى نكتب لكم كتبكم ، فحضر من كان منهم غائباً أو مختفياً أو محترفاً ، فلما اجتمعوا عنده أمر الترك أن يقتلوهم أجمعين ، فجالت عليهم خيل الروم ورجالها وأشعلوا فيهم النار بالبنادق والطبنجات والسيوف حتى قتلوهم عن آخرهم ! وهم نحو (٢٠٣٠) رجلاً ، وأخذ الترك أموالهم وشيئاً من أطفالهم وتركوا نساءهم وأطفالهم .

تابع سنة ١٢٣٥ :

ثم إن حسيناً فرّق العساكر في النواحي والبلدان فجعل :

في القصيم عسكراً

وفي بلدان الوشم عساكر

وفي بلدان سدير

وفي بلدان المحمل

فنزلت العساكر في البلدان واستقروا في قصورها وثغورها .

المآسي ..

وضربوا على أهلها ألوفاً من الريالات ، كل بلد أربعة آلاف ، وعشرة آلاف ، وعشرين ألف ريال .

فأخذوا أولاً من النـــاس ما عندهم من دراهم ، ثم أخذوا ما عندهم من الذهب والفضة ، وما فوق النساء من الحلي !

ثم أخـــذوا الطعام والسلاح والمواشي والأواني ، وحبسوا النساء والرجال والأطفال ، وعذبوهم بأنواع العذاب وأخذوا جميع ما بأيديهم ، فمنهم مَن مات بالضرب ومنهم مَن صار منه عائباً (مشوّهاً) .

فلما رأى الناس أنه لا يغني عنهم ما أخذوه منهم هرب أكثرهم في البراري والجبال والقفار ونُهبت دورهم وقُطعت أكثر نخيلهم .

التجسس : وصار مع الترك أناس في كل بلد من أهلها يخبرونهم بعوراتهم ، وبمن كان تاجراً ومَن كان فقيراً ، ومن كان يحب الترك ومن كان يبغضهم !

قطع النخل : وصارت مِحَن عظيمة ، وقطعوا أكثر نخل (رغبة) البلد المعروفة ، وقطعوا من بلد (الداخلة) أكثر من ألف نخلة ، ومن جلاجل والتويم والحوطة شيئاً قليلا ، وفي المجمعة أيضاً .

القتل : وقتل في سدير والمجمعة رجال .

وكان الذي قدم في سدير من الترك ابوش آغا ، ومعه أكثر من مائة فارس ومثلها من الجيش من اهل نجد والترك ، ونزل في قصر جلاجل، وفرّق العساكر في البلدان ، وفعلوا ما فعلوا ، وقتل من اهل حريملا عبد الله بن مانع، وعبد الله ابن حميد من اهل الدرعية وضرب فيهـا سليمان الحر وزامل بن بنيان من اهل الدرعية حتى ماتوا !

وفي بلد ثادق ضرب عبد الله بن علي بن حيدر وعبد الرحمن بن ماجد وماتوا وضرب غيرهم وعذبوا بأنواع التعذيب .

وحبس الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب في حريملا ونهب بيته وأخذ من عنده خزانة كتب عظيمة ، فأخـــذ الزملي قاضي حسين منها أحمالاً وأشعلوا النار في باقيها ، وعذب بالضرب وأنواع العذاب .

وقتـــل في القصيم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن رئيس بلدية بريده ، ومحمد بن غانم .

قبيل رحيل الترك .. رهائن في معتقل :

فلما أراد الترك أن يرحلوا من البلدان أمسكوا من كل بلد رجلاً ورجلين

وحبسوهم في مطالب من غاب وهرب ، وساروا بهم الى بلد (ثرمدا) ، وكان حسين قد بنى في ثرمدا قصراً عظيماً ، وجعل فيه الأزواد والمتاع التي يأخذها من اهل البلدان وأدخل فيه عسكراً من الترك فضبطوه ، وأدخل فيه عندهم محابيس اهل البلدان من الذين أمسكوهم وجعلوهم عندهم في سلاسل الحديد ، وأقاموا في ذلك الحبس والعذاب عند الترك في ذلك القصر حتى قدم حسين بك ابو ظاهر كما سيأتي .

رحيل الترك :

وفي ١٦ رمضان ارتحل عبوش(أبوش)وعساكره من سدير وارتحلت العساكر من البلدان بالرجال المحبوسين كما ذكرنا .

وفي صبيحة عيد الفطر ارتحل حسين من ثرمدا بعساكره ، وترك فيها رتبة في القصر وجعل في الرياض رتبة أيضاً من الترك مع ابو علي المغربي ، وفي قصر عنيزة في القصيم مثل ذلك ، وقصد المدينة ثم الى مصر .

الفتن :

فلما ارتحل حسين من نجد ، وقعت الحرائب والفتن في البلدان وترأس عليهم الشيطان ، فأمرهم باللعن والشتم والبغي والظلم والقتل وجميع الإثم والعدوان فثارت الحرب في سدير والقصيم والعارض والجنوب وغير ذلك من جميع الأوطان .

فهناك فتن وقتال بين الروضة وجلاجل والتويم وعشيرة الداخلة ..

واختلاف وقتل في المجمعة .

وفتن وقتل رجال ونهب أموال في القصيم والعارض والخرج والجنوب .

واستمرت الفتن حتى سنة ١٢٣٧ التي شهدت مسير عشيرة على الروضة .

.. والزلفي على منيخ وسدير .

.. وبوادي سبيع على منفوحة !

مقدم حسين بك ابو ظاهر وتظاهره بالتقوى والعدل :

وفي سنة ١٢٣٧ هذه قدم حسين بك ابو ظاهر من المدينة ، ومعه ثمان مائة فارس من الترك ونزل الرس وأظهر التنسك والطاعة ، وذلك لما علم أن اهل نجد يحبون من يفعل ذلك ، وإنما فعله ليستميلهم اليه حتى يمسك حصون البلدان، فيفعل كفعل حسين وأبوش .

وقال للناس :

(إنما جئت لأقاتل البدو حتى يؤدوا الزكاة ، وأردّ المظالم على الحضر ، ولا أريد إلا الزكاة) .

ثم كتب الى العسكر الذين في ثرمدا أن يطلقوا المحابيس الذين عندهم ..

وأغار على أناس من بوادي عنزة وأخذهم .

ووفد عليه أهل القصيم وأطاعوا له .

ثم رحل من الرس ونزل عنيزة ..

التظاهر بالظلم والعدوان :

ثم وفد عليه صاحب المجمعة وصاحب جلاجل وأكثر رؤساء البلدان فأرسل خيلاً نحو ثمانين فارساً من الترك مع موسى كاشف – والسائر بهم عبد الله الجمعي – فنزلوا قصر المجمعة ، وأقبلوا في سدير وأدبروا وأرادوا من أهله دراهم وطعاماً فأعطوهم شيئاً قليلاً ، ثم تزايد أمرهم بالأخذ والظلم فامتنع عليهم بعض بلدان سدير ، فلما علموا أنهم لم يدركوا مقصودهم وثبوا على اثنين من رؤساء المجمعة وقتلوهم .. ثم ساروا في سدير فلم يدركوا إلا أمير بلد الجنوبية وقتلوه ..

ثورة الهول ومقتل كاشف :

.. وفي آخر رجب غزا أعراب السهول ، ووقع بينهم قتال شديد وقتلوا الترك ، إلا قليلاً ، فالتجأ الناجون من الترك الى المجمعة .

وقتل في تلك الوقعة موسى الكاشف وجميع رؤساء الترك .

انتصار سبيع ومقتل ابراهيم الكاشف :

رحل أبو ظاهر إلى جبل شمر وقبض منهم الزكاة من يوم رحيل الباشا من نجد ، وقتل من أهل قرية (موقق) ٦٠ رجلاً ..

وفي آخر السنة سار ابراهيم كاشف ومعه جماعة من أهل الرياض وقصدوا بوادي سبيع ، في حائر سبيع ،فشنوا عليهم الغارة ووقع بينهم قتال شديد فنصر الله سبيعاً وانهزم الترك وأتباعهم هزيمة شنيعة وقتل غالبهم ، وكانت القتلى أكثر من ثلاثمائة بين فارس وراجل وقتل رئيس الترك ابراهيم كاشف .

وقتل أمير الرياض ناصر .. بعد فراره من المعركة في غار ..

ثم سار الكيخيا (الذي جعله حسين في قصر ثرمدا) بمن عنده من العساكر فيها وسار معه فيصل الدويش وجملة من بوادي مطير وعدة رجال من أهل ثرمدا وقصدوا ناحية سدير ، وذلك انهم أشغلوا الناس بالأوامر وأخذ الأموال فعصى عليهم صاحب جلاجل سويد ، ثم نزلوا بلد الروضة — وسار معهم أناس من أهل سدير ورحلوا منها ونازلوا جلاجل فحصل بينهم قتال من وراء النخيل وأقاموا يوماً وليلة ورموهم بالقبس ، فوقع الصلح بينهم ، ثم ارتحلوا الى الوشم [1] .. — انتهى ما قاله ابن بشر — .

---

(١) بعد هذا ظهر الامام تركي بن عبد الله وحرر البلاد ، وسيأتي ذكر ذلك في كتابنا : (الدولة السعودية الثانية) .

عهد الامام عبدالله بن سعود

– كما رواها الجبرتي في تاريخه –

جمعنا في الصفحات الآتية كل ما كتبه (الجبرتي) من الأخبار عن عهد الإمام عبد الله بن سعود ، ليرجع اليها بسهولة مَن يصعب عليه الوصول الى تاريخه وتتبُّع ما جاء فيه ، وقد أشرنا الى هذه الأخبار في أكثر من موضع من كتابنا .

أخبار سنة ١٢٣٠

ولاية الامام عبد الله :

في شهر جمادى الاولى : .. وصل الخبر بموت الشيخ سعود ، كبير الوهابية ، وتولى مكانه ابنه عبد الله .

معركة القنفذة :

في شهر رجب : وصلت قافلة من ناحية السويس ، وأخبر الواصلون عن واقعة القنفذة ، وما حصل بها بعد دخول العسكر اليها ، وذلك أنهم لما ركبوا عليها براً وبحراً ، وكبيرهم محمود بك وزعيم أوغلي وشريف آغا ، فوجدوها خالية ، فطلعوا اليها وملكوها من غير ممانع ولا مدافع ، وليس بها غير أهلها – وهم أناس ضعاف – فقتلوهم وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى مصر ليرسلوها

الى استامبول ، وعندما علم العربان بمجيء الأتراك خلوا منها – ويقال لهم عرب عسير – وترافعوا عنها ، وكبيرهم يسمى (طامي) ، فلما استقر بها الأتراك ومضى عليهم نحو ثمانية أيام ، رجعوا عليهم – أي العربان – وأحاطوا بهم ومنعوهم الماء فعند ذلك ركبوا عليهم وحاربوهم فانهزموا (أي الأتراك) وُقتِل الكثير منهم ونجا محمود بك بنفسه في سبعة أنفار ، وكذلك زعيم أوغلي وشريف آغا فنزلوا في سفينة وهربوا ، فغضب الباشا، وقد كان أرسل لهم نجدة من الشفاسية الخيّالة فحاربهم العرب ورجعوا منهزمين من ناحية البر ، وتواتر هذا الخبر .

الصلح مع الشريف راجح :

وفي شهر ذي الحجة : ورد الخبر .. بصلح الشريف (راجح) مع الباشا ، وأنه قابله وأكرمه وأنعم عليه بمائتي كيس ، وأخبر أيضاً بأنه ترك الباشا بناحية (كلاخ) ، وهو ما بين الطائف وتربة .

سنة ١٢٣٠

الاستيلاء على تربة :

في شهر محرم : وصلت مكاتبات من الديار الحجازية من عند الباشا وخلافه مؤرخة في ثالث عشر ذي الحجة يذكرون فيها أن الباشا بمكة وطوسون باشا ابنه بالمدينة وحسن باشا وأخاه عابدين بك وخلافهم في كلاخ .

في شهر ربيع الأول : في تاسعه ، وصلت قافلة .. من الحجاز .. ومعها هجانة .. وعلى يدهم مكاتبات ، وفيها الأخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب ، وأنه استولى على تربة ، وغنم منها جمالا وغنائم وأخذ منهم أسرى ، فلما وصلت الأخبار بذلك انطلق المبشرون الى بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش ، وضربوا في صبحها مدافع كثيرة من القلعة .

الاستيلاء على بيشة ورنية :

في شهر ربيع الثاني : في ١٨ منه ضربت مدافع وأشيع الخبر .. بقدوم

(الباشا) ... كذّب هـذه الأقاويل وأنها مكاتبات فقط .. يذكرون فيها أن الباشا حصل له نصر واستولى على ناحية يقال لها بيشة ورنية ، وقتل الكثير من النجديين ، وأنه عازم على الذهاب إلى ناحية القنفذة ، ثم ينزل بعد ذلك البحر ويأتي الى مصر .

كيف احتال الشريف راجح .. على طامي ؟

وفي شهر جمادى الاولى : وردت مكاتبات بالقبض على (طامي) الذي جرى منه ما جرى في وقائع القنفذة السابقة وقتله العساكر ، فلم يزل (راجح) الذي اصطلح مع الباشا ينصب له الحبائل حتى صاده ، وذلك أنـــه عمل لابن أخيه مبلغاً من المال إن هو أوقعه في شركه فعمل له وليمة ودعاه الى محله فأتاه آمناً ، فقبض عليه واغتاله طمعاً في المال وأتوا به الى عرضي الباشا ، فوجهه الى بندر جدة في الحال، وأنزلوه السفينة وحضروا به الى السويس وعجلوا بحضوره ، فلما وصل الى البركة — والمحمل إذ ذاك بها — خرجت جميع العساكر في ليلة الاثنين حادي عشرينه وانجروا في صبحها طوائف وخلفهم المحمل ، وبعـــد مرورهم دخلوا بطامي المذكور وهو راكب على هجين وفي رقبته الحديد والجنزير مربوط في عنق الهجين ، وصورته : رجل شهم ، عظيم اللحية ، وهو لابس عبـــاءة عبداني ، ويقرأ وهو راكب . وعملوا في ذلك اليوم شنكاً ومدافع ...

المجاهدون .. المزيفون !

وفي جمادى الثانية : وصلت عساكر ، في داوات إلى السويس ، وحضروا إلى مصر ، وعلى رؤوسهم شلنجات فضية ، إعلاما وإشارة بأنهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار ، وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين وطردوا المخالفين لديانتهم — كذا !! — حتى أن طوسون باشا وحسن باشا كتبا في إمضائهما على المراسلات بعد اسمها لفظة « المغازي » .. والله أعلم بخلقه !!

عودة الباشا الى مصر :

في يوم الجمعة ٨ رجب .. قبل العصر ، ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة

وذلك عندما ثبت وتحقق ورود محمد علي باشا إلى قنا وقوص ، ووصل أيضاً حريم الباشا ..

الباشا يتوب عن .. الظلم ؟!.. ويطرد المظلومين ويضربهم !

.. وأشيع في الناس ، في المصر وفي القرى ، بأنه تاب عن الظلم ، وعزم على إقامة العدل ، وأنه نذر على نفسه إذا رجع منصوراً واستولى على أرض الحجاز، أفرج للناس عن حصصهم ورد الأرزاق الأحباشيه إلى أهلها ، وزادوا على هذه الاشاعة أنه فعل ذلك في البلاد القبلية ، ورد كل شيء إلى أصله ، وتناقلوا ذلك في جميع النواحي ، وباتوا يتخيلونه في أحلامهم ...

ففرح أكثر المغفلين بهذا الكلام واعتقدوا صحته ...

وفي ١٤ من الشهر .. حضر الكثير من أصحاب الأرزاق..مشايخ وأشرافاً وفلاحين، ومعهم بيارق وأعلام، مستبشرين وفرحين بما سمعوه وأشاعوه وذهبوا إلى الباشا ... فلما رآهم وأخبروه عن سبب مجيئهم فأمر بضربهم وطردهم ، ففعلوا بهم ذلك ، ورجعوا خائبين !

عهد الباشا !!

وفي رجب أيضاً : حضر شيخ طرهونة .. (كريّم) .. وكان عاصياً على الباشا ، فلم يزل ابراهيم باشا يصالحه ويمنّيه حتى أتى اليه وقابله وأمّنه ، فلما حضر محمد علي باشا من الحجاز أتاه على أمان ابنه وقدم معه هديته وأربعين من الإبل فقبل هديته ، ثم أمر برمي عنقه !

سفر الشريف راجح الى مصر :

وفي رمضان : حضر الشريف راجح من الحجاز ، ودخل المدينة وهو راكب على هجين وصحبته خمسة أنفار على هجين أيضاً ، ومعهم أشخاص من الأرنؤد (الأرناؤوط – الألبان) من اتباع حسن باشا الذي بالحجاز ، فطلعوا به إلى القلعة ثم أنزلوه إلى منزل أحمد آغا .

وفد عبد الله في مصر

محمد علي لا يعجبه صلح ابنه طوسون :

وفي شهر شوال: وصلت هجانة وأخبار ومكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود، وأن عبد الله المذكور ترك الحروب والقتال وأذعن للطاعة وحقن الدماء، وحضر من جماعة الوهابية نحو العشرين نفراً من الأنفار الى طوسون باشا، ووصل منهم اثنان الى مصر، فكأن الباشا لم يعجبه هذا الصلح ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك، ولم يحسن نزل الواصلين، ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة، فاعتذرا، وذكر أن الأمير سعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج، وكان يريد الملك وإقامة الدين، وأما ابنه الأمير عبد الله فإنه ليّن الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء، على طريقة سلفه الأمير عبد العزيز المرحوم، فانه كان مسالماً للدولة، حتى ان المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة في شيء ولم يحصل التفاقم والخلاف إلا في أيام الأمير سعود، ومعظم الأمر للشريف غالب، بخلاف الأمير عبد الله فانه أحسن السير وترك الخلاف وأمّن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين، ونحو ذلك من الكلمات والعبارات المستحسنات، وانقضى المجلس وانصرفا الى المحل الذي أمرا بالنزول فيه، ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما في الركوب والذهاب والإياب، فإنـــه أطلق لهما الإذن الى أي محل أراداه، فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها، ودخلا الى الجامع الأزهر في وقت لم يكن به احـد من المتصدرين للإقراء والتدريس، وسألوا عن اهل مذهب الامام احمد بن حنبل، رضي الله عنه، وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه، فقيل : انقرضوا من ارض مصر بالكلية !

واشتريا نسخاً من كتب التفسير والحديث، مثل الخازن والكشاف البغوي والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذلك .

وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما انساً وطلاقة لسان واطلاعاً وتضلعاً ومعرفة بالأخبار والنوادر ، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف .

واسم احدهما عبد الله ، والآخر عبد العزيز ، وهو الأكبر حساً ومعنى .

سنة ١٢٣٣

بشارة بنصر ابراهيم باشا :

في شهر صفر : وصل جاويش الحج ، وفي ذلك اليوم وقت العصر ضربوا مدافع من القلعة لبشارة وصلت من ابراهيم باشا بأنه حصلت له نصرة وملكَ بلدة من بلاد الوهابية وقبض على أميرها ويسمى عتيبة وهو طاعن في السن .

.. وبشارة بفتح شقراء :

في شهر ربيع الثاني : في أواخره حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لابراهيم باشا وأنه استولى على بلدة تسمى الشقراء ، وان عبد الله ابن سعود كان بها فخرج منها هارباً الى الدرعية ليلاً ، وأن بين عساكر الأتراك والدرعيين مسافة يومين ، فلما وصل هذا المبشر ضربوا لقدومه مدافع من أبراج القلعة ..

وبشارة اخرى ..

وفي أواخر جمادى الاولى : وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بأن ابراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد الوهابية ، ولم يبق بينه وبين الدرعية إلا ثمان عشرة ساعة ، فضربوا شنكاً ومدافع .

وخبر سيء عن انتصار حمود !..

.. وفيه وصل هجان من حسن باشا الذي بجدة براسلة يخبر فيها بعصيان الشريف حمود بناحية يمن الحجاز ، وأنه حاصر من بتلك النواحي من العساكر وقتلهم ، ولم ينجُ منهم إلا القليل ، وهو من فرّ على جوائد الخيل .

موت حمود :

وفي شهر جمادى الثانية : ورد الخبر بموت الشريف حمود ، وأنه أصيب بجراحة ومات فيها .

استيلاء ابراهيم باشا على جانب من الدرعية :

وفي ١٩ جمادى الثانية .. ضربت مدافع لوصول بشارة من ابراهيم باشا بأنه ملكَ جانباً من الدرعية وان الوهابية محصورون ، وهو ومن معه من العربان محيطون بهم .

حريق الجبخانة في نجد .. واستهتار الجنود في القاهرة !

وفي منتصف شهر رمضان ، وصل نجاب وأخبر بأن ابراهيم باشا ركب إلى جهة من نواحي الدرعية لأمر يبتغيه وترك عرضيه ،فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا عى العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة ، وأحرقوا الجبخانة ، فعند ذلك قوي الاهتمام وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث براً وبحراً يتلو بعضهم بعضاً في شعبان ورمضان .

وبرز عرضي خليل باشا الى خارج باب النصر ،وترددوا في الخروج والدخول واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر ، فيجلس الكثير منهم في الأسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع ، وبأيديهم أقصاب الدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم ، وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام ، وانقضى شهر الصوم والباشا متكدر الخاطر ومتعلق ومنتظر ورود خبر ينسر بسماعه !

سفر خليل باشا وعساكر والي الحجاز :

وفي ٨ شوال ارتحل خليل باشا مسافراً الى الحجاز من القلزم (البحر الأحمر) وعساكره الخيالة على طريق البر .

قلق محمد علي ..

واستهل شهر ذي القعدة .. وانقضى والباشا منفعل الخاطر لتأخر الأخبا

وطول الانتظار وكل قليل يأمر بقراءة صحيح البخاري بالأزهر ... ولضيق صدره واشتغال فكره لا يستقر بمكان فيقيم بالقلعـــة قليلاً ثم ينتقل الى قصر شبرا ثم الى قصر الآثار ثم الأزبكية ثم الجيزة وهكذا ..

الاستيلاء على الدرعية :

وفي ٧ من شهر ذي الحجة وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان آغا الورداني أمير ينبع بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية ، فانسر الباشا لهذا الخبر سروراً عظيماً ، وانجلى عنه الضجر والقلق وأنعم على المبشر ، وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش .

المدافع .. والأفراح .. والليالي الملاح !

والناس في ضيق ومجاعة :

وفي ١٢ من ذي الحجة وصل المرسوم بمكاتبات من السويس وينبع ، وذلك قبيل العصر فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة واستمر الضرب من العصر الى المغرب بحيث ضرب بالقلعـــة خاصة ألف مدفع ، وصادف ذلك شنك أيام العيد ، وعنــد ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وبولاق ومصر القديمة والجيزة ، وشنك على بحر النيل ...

.. ونودي بالزينة وأولها الأربعاء ١٧ ذي الحجة فشرع في زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور ووقود القناديل والسهر وأظهروا الفرح والملاعيب: كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال والكد في تحصيل أسباب المعاش وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار وكذا السمن فانه شح وجوده ولا يوجد منه إلا القليل .. وكذلك اللحم لا يوجد منه إلا ما كان في غاية الرداءة من لحم النعاج الهزيل ، وامتنع أيضاً وجود القمح .. وحتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق .. ولمـا أنهي الأمر الى من لهم ولاية الأمر فأخرجوا من شون الباشا مقداراً ليباع في الرقع ، وقـــد أكلها السوس ، ولا يباع منها أزيد من الكيلة أكثرها مسوس .. الخ .

سنة ١٢٣٤

وقد عـــاد الجبرتي في أخبار سنة ١٢٣٤ الى وصف أفراح القاهرة وزيناتها التي كان أشار اليها في أخبار آخر سنة ١٢٣٣ وقـد أهملنا هـذا الوصف المطول مكتفين بما لخصه عنه الرافعي وأشرنا اليه في كلامنا عن معارك الدرعية .

وصول الامام عبد الله بن سعود الى مصر :

وفي يوم الاثنين ١٧ محرم : وصل عبد الله بن سعود ، ودخل من باب النصر وصحبته عبدالله بكتاش قبطان السويس وهو راكب على هجين وبجانبه المذكور وأمامه طائفة من الدلاة ، فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعـة وبولاق وخلافهما .

مقابلة محمد علي للامام :

.. وذهبوا به الى بيت اسماعيل باشا ، ابن الباشا ، فأقام يومه ، وذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا ، فلمـــا دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له : ما هــــذه المطاولة ؟ فقال : الحرب سجال . قال : وكيف رأيت ابراهيم باشا ؟ قال : ما قصر ، وبذل همته ، ونحن كذلك ، حتى كان ما قدّره المولى !

فقال محمد علي باشا : إن شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان .

فقال : المقدّر يكون !

ثم ألبسه خلعة ، وانصرف عنه الى بيت اسماعيل باشا ببولاق .

ونزل الباشا في ذلك اليوم السفينة وسافر الى جهة دمياط .

صندوق الجواهر :

وكان بصحبة الوهابي صندوق صغير من صفيح ، فقال له الباشا : ما هذا ؟

فقال : هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان !

وفتحه ، فوجد به ثلاثة مصاحف قرآناً مكلفة ، ونحو ثلاثمائة حبـة لؤلؤ

كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب ، فقال له الباشا : الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا .

فقال : هذا الذي وجدته عند أبي ، فإنه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة.

فقال الباشا : صحيح ! وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك !

سفر الامام عبد الله الى الاسكندرية .. فاستانبول :

وفي يوم الأربعاء ١٩ محرم سافر عبد الله بن سعود إلى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من الططر (التتار) إلى دار السلطنة ، ومعه خدم لزومه .

مقتل الامام في استانبول :

وفي ٧ جمادي الأولى وصلت الأخبار عن عبد الله بن سعود أنه لما وصل الى اسلامبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضاً في نواحي متفرقة فذهبوا مع الشهداء .

وصول آل سعود وآل الشيخ الى القاهرة :

وفي يوم الخميس ١٨ رجب حضر بواقي الوهابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو الأربعمائة نسمة ، وأسكنوا بالقشلة التي بالأزبكية وابن عبد الله بن سعود (أنزل) بدار عند جامع مسكة هو وخواصه من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشائخ وغيرهم ويمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات .

القبض على ابن حمود بالحيلة !

وفي شعبان وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز صحبتهم ابن حمود ، أمير يمن الحجاز ، وذلك أنه لما مات أبوه تأمر عوضه وأظهر الطاعة وعدم المخالفة للدولة ، فلما توجه خليل باشا إلى اليمن أخلى له البلاد واعتزل في حصن له ولم

يخرج لدفعه ومحاربته كما فعل أبوه ، وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه وحضر عند خليل باشا فقبض عليه وأرسله مع الهجانة إلى مصر !

سنة ١٢٣٥

يبيعون أحرار المسلمين !

وفي صفر: وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم أسرى من الوهابية : نساء وبنات وغلماناً ، نزلوا عند الهمايل ، وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم ، مع أنهم مسلمون وأحرار !

عودة ابراهيم باشا الى مصر :

وفي ٢١ صفر : وصل ابراهيم باشا من ناحية القصير .. وضربوا لذلك الخبر المدافع من القلعة وغيرها ..

سنة ١٢٣٦

في ٣ شوال حضرت هجانة من أراضي نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال ، وهم : عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه .

وذلك أنهم لما رجعوا الى الدرعية بعد رحيل ابراهيم باشا وعساكره ـ وكان معهم مشاري بن سعود ـ وقد كانوا هربوا من الدرعية بعد ما رحل منها ابراهيم باشا ، وتركي بن عبد الله بن أخي عبد العزيز وولد عم سعود إلا مشاري فإنه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر في الحمراء (وهي قرية بين الجديدة وينبع البحر) وذهب الى الدرعية ، واجتمع عليه من فرّ حين قدمت العساكر ، وأخذوا في تعميرها ، ورجع أكثر أهلها ، وقدموا عليهم مشاري ، ودعا الناس الى طاعته ، فأجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته ، فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بك ، فأوثقوا مشاري وأرسلوه الى مصر ، فمات في الطريق !

وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة ، وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة ، فنزل عليهم حسين بك وحاربهم ثلاثة أيام او أربعـــة ، وطلبوا الأمان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الأمان على أنفسهم ، فخرجوا له إلا (تركي) فإنه خرج من القلعـــة ليلاً وهرب .

وأما حسين بك فإنه قيّد الجمـــاعة وأرسلهم الى مصر في الشهر المذكور ، وهم الآن مقيمون بمصر بخطة الحنفي ، قريباً من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت .

(تراجم)

محمد علي باشا وولديه

والسلطان محمود الثاني

الذين حاربوا الإمام عبد الله بن سعود

والشريف يحيى بن سرور

الذي تولى أمر مكة في عهد الإمام عبد الله بن سعود

« نشرنا في كتابنا (عهد الإمام سعود) نبذة عن حياة محمد علي باشا ، والي مصر ، وطوسون باشا ، اللذين حاربا الإمام سعود بأمر من السلطان العثماني ، وننقل هنا نبذاً عن حياة ابراهيم باشا — الذي جاء بعد طوسون لمحاربة الإمام عبد الله — وعن حياة الشريف يحيى بن سرور ، الذي ولوه شرافة مكة بعد خلع الشريف غالب ، ونضيف الى ذلك نبذة عن حياة محمد علي وابنه طوسون — وإن سبق لنا الكلام عنهما — ، وهذه النبذة كلها منقولة من كتاب (أعيان القرن الثالث عشر) الذي ألّفه شاعر الشام الكبير ورئيس مجمعها العلمي : خليل مردم بك ، رحمه الله ، وقد طبع كتابه بعد وفاته » .

محمد علي باشا

هو والي مصر ومؤسس الأسرة الخديوية بمصر التي بقيت تحكم مصر حتى جاء الرئيس جمال عبد الناصر فأعلن النظام الجمهوري .

ولد محمد علي في قوله (فرضة من أعمال الروملي) سنة ١٧٦٩ م . وتوفي أبوه (ابراهيم آغا) وهو فتى ، فكفله عمه طوسون آغا ، ثم قتل ، فكفله رجل من أصدقاء والده ، فربي أمياً لا مرشد له إلا ذكاؤه الفطري وعلو همته ، وكان يجاهر بذلك ويفاخر به ..

كان محمد علي في الفرقة العسكرية التي حشدت من (قوله) مع الجيش العثماني الذي جاء الديار المصرية لاخراج الفرنسيس منها سنة ١٢١٤ ، وكان وكيل فرقة قوله ، ولما انهزم الجيش العثماني في موقعه أبي قير ، سافر رئيس تلك الفرقة إلى بلاده وأقام محمد علي مقامه ، ورقي إلى رتبة بكباشي .

بعد أن خرج الفرنسيون من مصر ، وولت الدولة العلية خسرو باشا على مصر ، خدمه محمد علي ، ثم لما عزل وولي طاهر باشا ، ثار العسكر التركي عليه وقتلوه ، وطلبوا تولية أحمد خورشيد باشا فلم ينقد لهم محمد علي وتحصن مع رجاله من الأرناؤد بالقلعة ، فأرسلت الدولة علي باشا الجزايرلي الى مصر ، فقبض عليه العساكر ونفوه إلى بلبيس .

قام بالأمر بعده ابراهيم بك فثار عليه الأهالي ، فهدأها محمد علي ، ثم ثاروا

عليه ثانية فهرب منهم فاتفق محمد علي مع العلماء على تولية أحمد خورشيد باشا ، ثم وقع خلف بينهما ، وطلب العسكر تولية محمد علي نفسه لاستمالته إياهم وغيرهم من أهل القطر ، بحسن سياسته ودهائه ، فأقاموه على مصر والياً ، ونادي المنادي بذلك في صفر سنة ١٢٢٠ ، وفي ربيع الثاني بعث الباب العالي بفرمان يتضمن تولية محمد علي على الديار المصرية ، ولقب محمد علي باشا .

لما تولى محمد علي كانت الفوضى بمصر رافعة أطنابها ، وكلٌّ متغلب على من هو دونه ، فأمراء المماليك ينهبون ويقتلون ولا مناقش ولا محاسب .

فأول ما دار في خلد محمد علي لإصلاح مصر إبادة منازعيه ومزاحميه ، وهم أمراء المماليك ، وكان أشدهم مناوأة له كبيرهم محمد بك الألفي الذي تعاهد مع انكلترا على خلع محمد علي ليتولى مكانه في مقابلة تسليمها السواحل ، فاجتهد سفيرها في الآستانة في تقرير سلطة المماليك كما كانت ، وضمن لها الخراج ، فأجابت الدولة هذا الطلب ، وأرسلت اسطولها الى مصر ، وفيه موسى باشا والي سلانيك ، ليكون بدلاً من محمد علي ، فاجتمع المشائخ وكتبوا للسلطان يتضررون من طائفة المماليك ، ويرجون إبقاء محمد علي ، وبعد طلبهم بشهرين ورد فرمان بتوليته سنة ١٢٢١ ، فتقوَّت شوكته ، ومما زادها قوة موت محمد بك الألفي الذي صمم على الإيقاع به ، وقرينه عثمان بك البرديسي في السنة نفسها ، فخلا له الجو ، لكنه تيقن بأنه لا يتسنى له إصلاح مصر إلا بالفتك بجميع المماليك الذين هم جرثومة الفساد ، فدعاهم الى القلعة لتوديع ابنه طوسون باشا الذي سيّره لقتال النجديين بالحجاز ، فبعد أن استقروا بالقلعة ، أغلق الأبواب ، وقتلهم عن بكرة أبيهم إلا واحداً تمكن من الفرار وهو أمين بك .

استأصل في اليوم الثاني شأفتهم من مصر وذلك في صفر سنة ١٢٢٦ ، ولما انقضى أمر المماليك وجه محمد علي عنايته الى إصلاح القطر المصري ، واسترضاء الدولة العلية ، ففتح السودان و (حارب الدولة العربية السعودية) ..

ولم يكتفِ محمد علي بما ناله من الملك الطويل العريض ، بل طمحت نفسه للاستيلاء على سورية ، فتواطأ مع الأمير بشير الشهابي ، وجهز جيشاً بقيادة

ابنه ابراهيم باشا للاستيلاء على سورية ، ففتح عكا بعـــد حصار طويل ، وأسر واليها عبد الله باشا ، وطرابلس، وحمص، ودمشق، وحلب وذلك سنة ١٢٤٨ ، وبعد الاستيلاء على الديار الشامية ، طمح بفتح الأناضول ففتح آدنة وقونيـــة وكوتاهية ، وحينئـــذ بعث سفيرا انكلترا وفرنسا الى ابراهيم باشا ليقف عن التقـدم حتى يأتيه أمر من والده ، لأن الدول الاوروبية ، كانت قد توسطت في إزالة الخلاف بينه وبين الباب العـــالي ، فوقف الى أن قرّ القرار على أن يبقى لمحمد عـلي إيالات صيدا وطرابلس ، والشام ، وحلب ، وأدنة ، ويعود ابراهيم باشا بجنوده الى سورية ، ثم اتفقت انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا مع الباب العالي على أن تكون ولاية مصر لمحمـد علي ونسله من بعده ، وتكون له أيضاً الولاية على عكا وجنوبي سورية مدى عمره ، على شرط أن يقبل بذلك ويخرج من بقية سورية وما فتحه في مدة عشرة أيام ، فقبل محمد علي ولاية مصر وأبى أن يخرج من سورية .

فلمـا مضت العشرة أيام ولم يخرج ، أعلنت الدولة العلية عزله عن مصر ، وأتت الأساطيل العثمانيـة والانكليزية والنمساوية ، واحتلت بيروت وصيدا وعكا ولبنان والبقاع ، فلما أحس محمد علي بذلك كرر الأوامر الى ابراهيم باشا بالعودة الى مصر ، فلما كمل اجتماع عسكره في دمشق من حلب وبر الترك وزاد عدده على سبعين ألفاً خرج منها في ذي القعدة سنة ١٢٥٦ ، وبعـــد أن وصل ابراهيم باشا الى مصر ، صرف محمد علي همه عن توسيع سلطته الى إصلاح البلاد التي قبلت الدولة العلية أن تبقى له بعـــد أن أخذت منه كريت وسورية وبلاد العرب .

وضع محمد علي أساس القناطر الخيرية ، لكن عصب دماغه كان قد كلّ وتولاه الاختلال ، وصار يحسب الذين حوله خونة يقصدون الإيقـــاع به ، فأعطيت السلطة لابنـه ابراهيم باشا سنة ١٢٦٤ وتوفي سنة ١٢٦٥ وعمره (٨٣) سنة وُدفن بجامعة القلعة ، ولم تطلْ ولاية ابراهيم باشا سوى سبعين يوماً فتوفي قبل أبيه وهو في الستين من عمره .

طوسون باشا

هو طوسون باشا بن محمد علي باشا الكبير ،حاكم مصر ، ولد نحو سنة ١٢١٠ وكان كأبيه عزماً وحزماً وحباً بالأعمال العظيمة حتى أنه (لما عظم أمر الدولة السعودية) ، وآنس منه أبوه مـا تقدم من صفاته ، سَيَّره وهو فتى لم يبلغ العشرين من عمره في الحملة الأولى عليهم ، فأبحر سنة ١٢٢٦ من السويس فنزل في ينبع وامتلكها ، وزحف بجنوده على الوهابيين وكانوا في قوة عظيمة فردوه إلى ينبع ، ولما علم والده بذلك أمده بنجدة ، فاشتد بهـا أزره ، وتقدم إلى المدينه ، فأطلق عليها النار وهدم بعض السور ثم دخلها وأثخن في حاميتها حتى سلمت ، فأرسل مفاتيحها إلى والده ، فبعث بها إلى الآستانة ، وانتشر خبر فتح المدينة في الحجاز ، فخارت عزائم (المقاتلين) وتركوا مكة خوفاً من أهلها ، فأتاها طوسون باشا ودخلها وكتب لوالده بذلك ، فسُر كثيراً لما أوتي عن يد ولده من الفتح الذي لم يتأت لكثير من القواد يومئذ .

ثم في صيف سنة ١٢٢٨ زحف (السعوديون) على طوسون باشا وجنده ، لعلمهم أنه لا قبل لهم بتحمل حر تلك الأصقاع، فاستولوا على كل ما بين الحرمين فلما بلغ ذلك أباه محمد علي باشا ، سار بنفسه لنجدة ولده ، فنزل جدة في ٣٠ شعبان وبعـد أن أقام بمكة مدة يسيرة وأدى فريضة الحج ، قضت الأحوال بعودته إلى مصر ، فغادر الحجاز ، وظل طوسون يقاتل (السعوديين) ، فكان الظفر حليفه في كثير من المواقع، وتقدم الى نجد إلا أنه اضطر إلى التوقف لقلة

المؤن وهو لم يبلغ الدرعية ، ثم رجع الى المدينة المنورة ، واسترد (السعوديون) أكثر المواقع التي استولى عليها .

وبلغه حصول قلاقل بمصر ، فخف برجاله إلى ينبع ، واستبقى حامية في المدينة ، ثم أبحر الى السويس ، وأتى بموكب عظيم الى القاهرة ، فاحتفل به احتفالاً شائقاً ، ولم يلبث أن توجه الى الإسكندرية حيث كان أبوه وابنه عباس بك الذي ولد أثناء غيابه وبلغ سنتين من العمر ، وتولى فيما بعد حكم مصر .

ولم يقم طوسون باشا بالاسكندرية مدة يسيرة حتى فاجأته المنية غضّ الشباب في ٧ ذي القعدة سنة ١٢٣١ ، فأتي بجثته الى القاهرة ، ودفن في مقام الإمام الشافعي ، وأُنشىء سبيل على قبره ، وكان جميل الطلعة ، متوقد الذهن ، مَيّالاً للعلم ، ذا بأس وحزم .

وقعت وفاته وقعاً شديداً في قلب والده .

ابراهيم باشا

وُلد ابراهيم باشا في (قوله) سنة ١٢٠٤ هـ . وتولى ولاية مصر بعد أبيه – وفي حياته – فقد ورد اليه فرمان التولية من سلطان آل عثمان سنة ١٢٦٤ ، وكان أبوه إذ ذاك حياً ، إلا أنه كان قد ضعفت قواه العقلية وأصبح لا يصلح للولاية .

كان ابراهيم باشا عضد أبيه الأقوى وساعده الأشد في جميع مشروعاته ، كان باسلاً مقداماً في الحرب ، لا يتهيب الموت ، وقائداً محنكاً لا تفوته صغيرة ولا كبيرة من أفانين الحرب .

كان سريع الغضب .. وكان يعرف الفارسية والتركية والعربية ، وله اطلاع واسع في تاريخ البلاد الشرقية .

جهزه أبوه محمد علي في ١٠ شوال سنة ١٢٣١ لحرب الوهابية ، فظهر عليهم ، وأسر أميرهم وأرسله لأبيه إلى القاهرة سنة ١٢٣٣ ، فأرسله محمد علي إلى الآستانة ، فطافوا به في أسواقها ثلاثة أيام ثم قتلوه ، فنال ابراهيم باشا من السلطان مكافأة سنية وسُمي والياً على مكة ، ونال أيضاً أبوه محمد علي لقب خان الذي لم يحظ به سواه رجل من رجال الدولة غير حاكم القرم .

ولما طمح محمد علي للاستيلاء على سورية ، كان قطب الحركة والقائد الفاتح ابراهيم باشا ، كما رأيت تفصيل هذه الحادثة في ترجمة محمد علي .

ولم يطل حكم ابراهيم باشا ، فإنه توفي قبل والده سنة ١٢٦٥ ، ودفن بمدفن الأسرة الخديوية بجوار الشافعي رضي الله عنه . (أي أن حكم ابراهيم باشا كان حوالي سنة فقط .) .

وكان ربع القـامة ، ممتلىء الجسم ، قوي البنية ، مستطيل الوجه والأنف ، أشقر الشعر ، في وجهه أثر الجدري ، كثير اليقظة ، قليل النوم . وكان نقش على خاتمه (سلام على ابراهيم) .

– انتهى –

السلطان محمود الثاني

قلنا في كتابنا : « عهد الإمام سعود » إن السلطان محمود الثاني، تولى السلطة سنة ١٨٠٨ م . وكان عاقلاً ، داهية ، من أعظم سلاطين آل عثمان ، وكانت بلاده تتخبط في خضم الأخطار : خطر الانكليز ، وخطر الإفرنسيين ، وخطر المماليك ، وأخطار الألبان والعرب واليونان والمصريين والسوريين والأكراد ، ودسائس الباشاوات ، ومؤامرات الإنكشارية ، ولكنه استطاع التغلب على كل هذه الأخطار !

ومن أشهر أعماله الناجحة : قضاؤه على العساكر الإنكشارية ، فقد ذبحهم غدراً ، كما ذبح محمد علي المماليك في مصر ، وأنشأ جيشاً جديداً باسم النظام الجديد .. وكان يظهر التمسك بالدين..وهو الذي دفع محمد علي إلى محاربة الدولة السعودية الأولى .

وننقل الآن بعض ما كتبه عنه المرحوم خليل مردم بك في كتابه : أعيان القرن الثالث عشر :

السلطان محمود خان الثاني بن السلطان عبد الحميد الأول وشقيق السلطان مصطفى الرابع ، وهو السلطان الثلاثون من سلاطين آل عثمان ، تبوأ السلطنة العثمانية سنة ١٢٢٣ وهي في اختلال عظيم وارتباك لم يسبق له مثيل .

كان السلطان سليمان القانوني آخر من قاد جنوده بنفسه من سلاطين آل

عثمان ، وتقاعدوا بعده عن المسير إلى ساحة الحرب تاركين قيـادة الجند الى وزرائهم ورجال دولتهم ، الأمر الذي آل إلى تقهقر الدولة واختلال أحوالها وانتقاض ولاتها ، وأصبح الإنكشارية عثرة في سبيل فلاحها بعد أن كانوا حصناً لها ، وقواماً لسطوتها .

كان أعظم وزراء الدولة إذ ذاك مصطفى البيرقـــدار وهو الذي أجلس السلطان محمود على سرير السلطنة بعد سفك الدماء ، فولاه السلطان الصدارة [1] العظمى لما تبينه فيه من الشجاعة والإقدام وشدة البطش ، فباشر البيرقدار أول كل شيء قطع شأفة الأحزاب المضادة ، فقتل بعضاً ، ونفى آخرين حتى خلا له الجو فأخذ في اصلاح شؤون المملكة باذلاً في ذلك جهد الطاقة عملاً بإرادة مولاه فرأى أن يبدأ بإصلاح القوة العسكرية وتنظيمها على النمط الحديث الذي وضعه نابليون بونابرت ، وهو المعول عليه في تنظيم جنود أوروبا .

علم أن مباشرته ذلك تقضي بتغير الانكشارية وتمردهم ، لما يرون في الأمر من انحطاط سطوتهم وتقلص ظل مجدهم ، فاحتال على العلماء والوزراء وكبار أهل الدولة ، واستجلب مصادقتهم في تنظيم جنـــد جديد ، واصلاح جند الانكشارية بتدريبه على النظام الجديد ،فتعهد له أولئك ببذل أرواحهم وأموالهم توصلاً إلى تلك البغية ، فعلقت الآمال بإصلاح الحال على يد ذلك الوزير .

وكأن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يتم ذلك على يده ، فجاء البيرقدار أموراً غيرت عليه القلوب ، أخصها أنه طمع في أموال الناس ، فأكثر من الضرائب ، واستخدم في استخراجها طرقاً غير قانونية ، فخاف الناس الانتظام في الجندية وأوجس العلماء والمشايخ خيفة على مال الأوقاف لئلا يصبح طعمة له .

أما السلطان فلم يكن أقل حذراً منهم وقد رأى كل شيء سائراً على ما يريده هذا الوزير ، والأحكام في يده يديرها كيف شاء .

---

(١) الصدارة العظمى : ما يقابل رئاسة الوزراء حالياً .

تلخيص :

(ويمضي المؤلف بعد ذلك إلى القول إن الانكشارية – بمساعدة العلماء – قتلوا البيرقدار ، وقتلوا معه آخر من بقي من عصبة آل عثمان ، وهو السلطان مصطفى الرابع ، الذي كانوا قد خلعوه من السلطنة ، وهكذا قوي نفوذ محمود الثاني، ولم يعد الانكشاريون قادرين على تهديده بتسليم السلطنة إلى منافس آخر من آل عثمان ، ولكن السلطان محمود اشتغل بمحاربة أعدائه الاوروبيين ، ثم اشتغل بمحاربة الدولة العربية السعودية واستخدم لمحاربتها والي مصر محمد علي باشا ..

ثم ثارت عليه اليونان وساعدتها روسيا وانكلترا وفرنسا ، فاستنجد بمحمد علي فأنجده بقوة يقودها ابنه ابراهيم باشا ، ولكن السلطان اضطر آخر الأمر إلى التخلي عن اليونان والاعتراف باستقلالها .

انصرف السلطان بعد الهدنة إلى تنظيم الجيش على الطريقة الاوروبية ، فأخذ الجنود « الانكشاريون » يعيثون في الأرض فساداً ويزعمون إن هذا الأمر بدعة .. وطالبوا برأس رئيس الوزراء الذي زيَّن للسلطان ، في زعمهم ، تجديد الجيش ، فدعا السلطان اليه العلماء وأفهمهم حقيقة الحال وسوء نية الانكشارية ، ثم دعا اليه الجماهير وخطب فيهم وأنهض هممهم فأقسموا (على الثبات حتى يفوزوا أو يموتوا فداء عن سلطانهم ، وطلبوا اليه أن يجرّد العلم النبوي الشريف ، فجرّده ومشى ، فتبعه الناس وتقاطروا من أنحاء المدينة للدفاع عن السلطان والعلم الشريف ، ففرق فيهم الأسلحة ثم سلَّم العلم الى المفتي ..) ونهض الجميع – ومعهم العساكر الجدد ، المدرّبون على النظام الجديد – وساروا إلى ساحة (أت ميدان) حيث كان الانكشارية متجمهرين ، والتحم الفريقان ، وكانت مذبحة هائلة .. قضي فيها على الانكشاريين ومَن لم يُقتل منهم أُخذ أسيراً ..

بعد ذلك اضطر السلطان إلى التخلي عن بلدان أخرى في اوروبا كانت داخلة تحت حمايته .. وتوفي سنة ١٢٥٥ هـ . بعد أن حكم بلاده إحدى وثلاثين سنة .

الشريف يحيى بن سرور

(هو الشريف يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي .

كانت ولايته على مكة في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٨ بعد أن قبض محمد علي باشا ، والي مصر ، على عمه غالب ، وكانت مباشرة أحكام الأشراف والعرب بيد محمد علي باشا ومن كانوا نائبين عنه بعد رجوعه الى مصر ، كأحمد باشا نائب محمد علي باشا في مكة ، فكان أحمد باشا يفوض إلى الشريف شنبر بن مبارك (المنعمي) التصرف بأمور الأشراف والعربان.. فاستحكمت العداوة بين الشريف يحيى ، صاحب الولاية الشرعية اسماً ، وبين الشريف شنبر ، صاحب السلطة الفعلية بمؤازرة أحمد باشا ، فصمم الشريف يحيى على قتل شنبر ، وقتله سنة ١٢٤٢ ، فسار أحمد باشا إلى دار الشريف يحيى وهدد بقذفها بالمدافع إن لم يخرج منها ويستسلم ويذهب إلى مصر .. فتظاهر الشريف يحيى بالتسليم وقبِلَ بالسفر إلى مصر ، ولكنه نكص عن ذلك.. فأعلن أحمد باشا تولية الشريف عبدالمطلب إمارة مكة وطلب منه أن يجمع الجموع لقتال الشريف يحيى .. ولكن محمد علي باشا كتب إلى أحمد باشا أنه استحسن تولية الشريف محمد عون إمارة مكة .. فغضب الشريف عبد المطلب واتفق مع الشريف يحيى بن سرور على محاربة الشريف عون ، وبعد حرب استمرت اثنين وعشرين يوماً تمّ الصلح بينهم ، ولم تمضِ أسابيع على ذلك حتى أمر محمد علي باشا بإشخاص يحيى إلى مصر ، ففعل ، وبقي الشريف يحيى في مصر حتى وفاته سنة ١٢٥٤ هـ .